نِـدَاءُ الرَّبِـيـع

وَلَّى الشِّتَـاءُ، وَفِي جَـوْفِ الثَّـرَىٰ نُطفٌ
جَنِينُـهَـا بِـالـرَّبيـعِ اليَـوْمَ يَكْتَمِلُ
تَعَهَّـدَتْـهُ غَـوَادِي السُّحْـبِ هَـامِيَـةً
حَتَّى اسْتَـوَىٰ مِنْـهُ سَـاقٌ نَـاعِمٌ خَضِلُ
وَافْتَـرَّ مبَسِمُـهُ المَـوْرُودُ عَـنْ فَلَقٍ
وَاخْتَـالَ بَيْنَ السَّـوَاقِـي عِطْـرُهُ الجَـذِلُ
وَضَمَّخَ الأرْضَ طِيبـاً، فَـالـوُجُـود بِـهِ
وَقَـدْ تَضَـوَّعَ فِي أسْحَـارِهِ ثَمِلُ
وَقَـبَّـلَ النّحْـلُ ـ مُشْتَـاقاً ـ مَـرَاشِفَـهُ
فَكُلّ مَـا فِي خَـلاَيَـا شُهْـدِهِ قُبلُ !
لَمْ يُـرو غُلَّتَـهُ مِـنْ زَهْـرِهِ نَهَلٌ
وَلَيْـسَ يُشْبِعُـهُ مِنْ خَمْـرِهِ عَلَـلُ
وَالطلُّ يَنْسَـابُ رَقْـرَاقـاً عَلَـى بُسُطٍ
مُخْضَـرَّةٍ فِي حَـوَاشِـي بُـرْدِهَـا خَمَلُ
وَلِلنّسَـائِمِ هَبَّـاتٌ مُـوَشْـوِشَـةٌ
كَأنَّهَـا لَـرَبِيعٍ وَافِـدٍ رُسُلُ !
وَلِلْمِيَـاهِ خَـرِيـرٌ لَحْنُـهُ نَغَمٌ
مُـزَغْـرِدٌ هُـوَ فِي شَـلاَّلِهَـا زَجَلُ

أوْدَى الشِتَـــاءُ بِعُـشٍ كَـــانَ يَسْكُنُـــهُ
فَهَبَّ يَبْنِيـــهِ لَمْ يَقْعـــدُ بِـــهِ مَلَلُ
وَلَّى الشِّتَـــاءُ الـــذِي عَـــرّى خَمَـــائِلَـــهُ
وَاليَـوْمَ تَكْسُـو عَـــرَايَـا رَوْضِـهِ الحُلَلُ !

* ● *

هَـــذَا الـــرَّبِيعُ حَيَـــاهُ قَبْلَهَـــا سِنَـــةٌ
لِـلأرْضِ فِيهَـــا وَإنْ ضِقْنَـا بِهَـــا، شُغُلُ
تَصُـوغُ، فِي غَيْبَـــةٍ عَنَّـا ــ مَبَـــاهِجَهَـا
دُؤُوبَـــةً فِـي سُكُـــونٍ مِلْـــؤهُ العَمَلُ
سُكُـونُهَـا ثَـوْرَةٌ فِي العُمْـقِ مُبْـدِعَـةٌ
وَعَـــــالَمٌ آخَـــــرٌ يَبْنِي وَيَشْتَغِـلُ !
لاَشَـيْءَ فِيهَـــــا بِمَيْـتٍ مِنْ أجِنَّتِهَـــــا
وَإنْ تَـــرَاخَىٰ بِهَـــا فِي غَيْبِهَـــا الأجَلُ
والحبَ فِيهَـــا بِـــدِفْئِـــهِ الحُبِ تُنْبِتُـــهُ
سَنَـــابِـــلاً بِـــرِبَـــاطِ الـــوُدِ تَتّصِلُ
هَـــذَا الـــرّبِيعُ حَـــوَالَينَـــا مَفَـــاتِنُـــهُ
خَمَـائِلاً هِيَ فِي خُضْـرِ الـرُّبَى ظُـلَـلُ
أطْيَـــافُ بَهْجَتِـــهِ فِي العَيْـنِ مَـــاثِلَـــةٌ
عَـــرَائِسـاً، مَـــا لَهَـــا فِيمَـــا رَأتْ مَثَلُ

لاَ شَيْءَ يَمْـلأ عَيْنِـــي مِثْـــلُ رَوْعَـتِـــهَا
وَالسّهْلُ قَـــدْ غَـــارَ مِـنْ نَيْـــرُوزِهِ الجَبَلُ
أنَّـى التَفَتّ رَأتْ عَيْنَـــــاكَ رَائِعَـــــةً
فِي كُـلِّ قَلْبٍ وَوِجْـــدَانٍ لَهَـــا نُـــزُلُ
رَبِيعُ أرْضِـــي التِي عَـــانَقْتُ تُـــرْبَتَهَـــا
جَـــنَّاتُ خُـــلْـدٍ إلَيْهَـا تَطْـمَحُ المُـقَـــلُ
لَـوْ يَشْتَهِي المَـــرْءُ فِـرْدَوْســـاً يقِيمُ بِـهِ
مَـا كَـانَ عَنْ خُلْـدِهَـــا المَـوْعُـودِ يَنْتَقِلُ
هَبّتْ نَسَـــائِمُ مِنْ فَـــاسٍ تُـــذكـــرنِي
رَبِيعَهَـــا بِسَبُـــو والـــزَّرعُ مُكْتَمِلُ
تَبْـدُو سَنَـابِلُـهُ الخَضْـــرَاءُ مُـرْهَقَـةً
كَأنَّهَـــا حبُلَيَـــاتٌ آدَهَـــا الحبَلُ !
مَـــرَابِعٌ لَمْ تَـزَلْ فِـي العَيْنِ خُضْـرَتُهَـا
تَجْلُـــو رَوَائِعهَـــا الأسْحَـــارُ والأُصُلُ
مَـــا هَـبّ رِيحُ صَبَـــا إلاّ وَذَكّـــرَنِي
رَبِيعَ فَـــاسٍ وَإخْـوَانـــاً بِهَـا ارْتَحَلُـوا !

* ● *

هَـــذَا الـــرّبِيعُ نِـــدَاءٌ لَيْسَ يَسْمَعُـــهُ
مَرْضَـــىٰ القُلُوب وَلاَ يَدْرِيـهِ منْ جَهِـلُـوا

لِلْحُب تَـدْعُـو بَنِـي الـدُّنْيَـا أزَاهِـرُهُ
وَلِلصَّفَـاء، وَلِلسّلْمِ التِـي ابْتَـذَلُـوا
مَتَـى يَحُلُّ رَبِيـعٌ لاَزُهُـورَ بِـهِ
إلاَّ سَـلاَمٌ بِـهِ قَـدْ يُـزْهِـرُ الأمَلُ !
فَـالزَّهْـرُ يَـذْبَلُ - إنْ لَمْ يُسْقَ - مِنْ ظَمَإ
وَالنّـاسُ مِن فَقْـدِهم لِلْحُب - قَـدْ ذَبَلُـوا!
مَتَى تَهُـبُّ عَلَى الـدُّنْيَـا نَسَـائِمُـهُ
وَتَحْتَفِي بِـالسَّـلاَمِ العَـائِدِ الـدوَلُ ؟
فَـلاَ رَبِيعٌ وَلاَ عِطْـرٌ سَيُنْعِشُنَـا
بِغَـابَـةٍ لَمْ يَعِش فِـي ظِلِّهَـا حَمَلُ !
حُمَـاتُهَـا ! نَصَبُـوا لِلْعَـدْلِ أنْفُسَهُم
يَـا لَيْتَهُم مَـرّةً فِي حُكْمِهم عَـدَلُـوا !
يَـا لَيْلُ أصْبِح ! فَقَـدْ تَـاهَتْ مَـرَاكِبنَـا
وَضَلَّ رُبَّـانُهَـا، وَاعـوَجَّـتِ السُّبُلُ
هَـذَا الـرّبِيـعُ ! وَلَكِن مَنْ يُحِسُّ بِـهِ
وَمَن بِمَـوْلِـدِهِ هَـذَا سَيَحْتَفِلُ ؟
وأيّ عَيْنٍ تَـرَى آيَـاتِ رَوْعِتِـهِ
فِي عَـالَمٍ مُثْخَنٍ بِـالحقـدِ يَقتَتِلُ ؟!